

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الخامسة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حداثة سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه . إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

لقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية أخبار عجيبة في حداثة سنه من الجد والاجتهاد في طلب العلم والتحصيل ، إضافة إلى ما كان عليه من حسن العمل والخلق ، وكان لذلك النتيجة الإيجابية في غزارة علمه ، ومن ذلك معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحظته فإنه فيه من الغاية التي ينتهى إليها والنهاية التي يعول عليها، ولقد كان إذا قريء في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بحملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها وكان مجلسه في وقت مقدر بقدر ربع النهار يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئاً معيناً يبيته ليستعد لتفسيره بل كان من حضر يقرأ ما تيسر ويأخذ هو في القول على تفسيره، وكان غالباً لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضي الزمن المعتاد لاورد أشياء أخر في معنى ما هو فيه من التفسير لكن يقطع نظراً في مصالح الحاضرين.

أما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضائاه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه وبقية المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضائاهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله وما خصوا به من بين الأمة فإنه كان (رحمه الله) من أضبط الناس لذلك وأعرفهم فيه وأسرعهم استحضارا لما يريده منه فإنه قل أن ذكر حديثا في مصنف أو فتوى أو استشهاد به أو استدلال به إلا وعزاه في أي دواوين الإسلام هو ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما وذكر اسم رواية من الصحابة .

وقل أن يسأل عن أثر إلا وبين في الحال حاله وحال أمره وذآكره ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغارا وكبارا وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزأ كل شئ من ذلك إلى ناقله وقائله بأسمائهم وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها وأي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ونقبت واختبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغير .

وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها كثيرة جداً وفي فنون متنوعة ، وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي كثيرة أيضاً ، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كتب وقد لا يقدر مع ذلك على إبراز مثله .

وأما ذكر دروسه فقد كان لا يهيبه شئ من العلم ليلقيه ويورده بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم على صفة مستحسنة مستعذبة ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات وآيات وأحاديث وأقوال العلماء ونصر بعضها وتبين صحته

أو تزييف بعضها وإيضاح حجته واستشهاد بأشعار العرب وربما ذكر اسم ناظمها وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ويفيض كما يفيض البحر من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن بل فيض الهي حتى يبهر كل سامع وناظر فلا يزال كذلك إلى أن يصمت ، وكان لا يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلا ويصلي ويسلم عليه ، وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، إذا كان ما ذكر هو شيء من سعة علمه ، فلنا حاجة أن نعرف طرفاً من جده واجتهاده في تعبده وتقربه من ربه ، لعل الله يرزقنا الاقتداء به ، والانتفاع من سيرته في علمه وعمله ، فإنه (رحمه الله) قل أن سمع بمثله في زمانه لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه في القرب من ربه حتى انه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يراد له لا من أهل ولا من مال وكان في ليلة متفرداً عن الناس كلهم خالياً بربه عز وجل ضارعاً مواظباً على تلاوة القرآن العظيم مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه ، وكان إذا قرأ يمد قراءته مداً كما صح في قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض وكان يخفف جلوسه للتشهد الأول خفة شديدة ويجهز بالتسليمة الأولى حتى يسمع كل من حضر فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عز وجل ، بما ورد من قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يقبل على الجماعة ثم يأتي بالتهليلات الواردة حينئذ ثم يسبح الله ويحمده ويكبره ثلاثاً وثلاثين ويختم المائة بالتهليل كما ورد ، ثم يدعو الله تعالى ، وكان غالب دعائه : اللهم انصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا اللهم اجعلنا لك شاكرين لك ذاكرين لك أواهين لك محبتين إليك راغبين إليك راهبين لك مطاوعين ربنا تقبل توباتنا واغسل حوباتنا وثبت حججنا واهد قلوبنا اسل سل سخيمة صدورنا ، يفتتحه ويختمه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم

يشرع في الذكر وكان قد عرفت عاداته لا يكلمه أحد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر فلا يزال في الذكر يسمع نفسه وربما يسمع ذكره من إلى جانبه، مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء هكذا دأبه، حتى ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة، ثم انه كان يركع فإذا أراد سماع حديث في مكان آخر سارع إليه من فوره مع من يصحبه ، وإذا رأى منكراً في طريقه أزاله أو سمع بجنائز سارع إلى الصلاة عليها أو تأسف على فواتها وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلي عليه، ثم يعود إلى مسجده فلا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه، وكان مجلسه عاماً للكبير والصغير والجليل والحقير والحر والعبد، قد وسع على كل من يرد عليه من الناس يرى كل منهم في نفسه أنه لم يكرم أحداً بقدره . وهكذا يتم بقية يومه متقلباً بين العلم والعبادة وخدمة المسلمين فرحمه الله رحمة واسعة ورزقنا الاقتداء به والانتفاع بسيرته .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.